

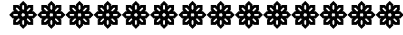
تاريخ الاستلام: 2015/10/11 - تاريخ التحكيم: 2015/12/22 - تاريخ النشر: 2016/06/28

إشكالية وفاة محمد بن عبد المنعم الحميري صاحب كتاب "الروض المعطار في خبر الاقطار" بين المؤرخين

القدامى والمحدثين دراسة في النصوص التاريخية

أ.م.د. صباح خابط عزيز سعيد

جامعة بغداد - (العراق)



الملخص:

تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية محمد بن عبد المنعم الحميري في جوانب مختلفة من معجمه الجغرافي المعروف بـ "الروض المعطار في خبر الأقطار".

وجاءت هذه الدراسة لتؤكد وبحسب النصوص والإثباتات الصريحة والصحيحة والحسابات الدقيقة من خلال بعض التواريخ التي عاصرها المؤلف ، ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، وتفنيد بعض الآراء التي ذكرت لدعم وفاته في وقت متأخر يتناقض والتاريخ الحقيقي لوفاة المؤلف والنصوص التي اقترنت بها بعض الحوادث التي وقعت بتاريخ معلومة كان المؤلف ، أو من أكمل الكتاب بعده ، قد نوه إليها بأنها قد وقعت لوقت قريب تشير إلى انه معاصر لها ، وهي مسألة تتطلب الكثير من الدلائل والإيضاحات لإثبات تلك الوفاة التي اختلف فيها المؤرخون من القدامى والمحدثين .

Abstract

There are many academic Studies , which dealt with Mohammed Ibn Abd AL-Munim AL-Hemery,s death , who wrote a book named AL-Roudh AL-Metar fi khaber al-iqtar in different aspects as a geographical dictionary .

This study accentuates the perfect indication , according to exact historical events which witnessed by the author , and form his tutors who studied him and falsify same opinions or views , which mentioned in order to support the idea of author,s death , form the late time which contrast with the real history of author,s death , and the historical events which relate to the historical resources that occurred in specific events mentioned by the author , Because it were witnessed by the writer too.

So this is an important cause that required from indications and explanatory so as to prove the death which differed by the classic and modern historians.

المقدمة:

تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية محمد بن عبد المنعم الحميري في جوانب مختلفة من معجمه الجغرافي المعروف بـ "الروض المعطار في خبر الأقطار" سواء كانت هذه الدراسات منهجية تاريخية كدراسة "بارق سعدون عزيز" في جامعة ديالى كلية التربية في عام 2013م الموسومة بـ: "الجوانب التاريخية لمدينة المشرق الإسلامي من خلال كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ت 727هـ/1327م"، أم تاريخية للأوضاع الاقتصادية كدراسة "أفراح نازك عبد الرحمن نازك حفيظة" في جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين في عام 2013م الموسومة بـ "الحميري محمد بن عبد المنعم ت 900هـ وكتابه الروض المعطار في خبر الاقطار دراسة تاريخية للأوضاع الاقتصادية"، أو مقدمة كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للدكتور إحسان رشيد عباس الذي قام بتحقيق هذا الكتاب وهو فلسطيني الجنسية في عام 1974م في بيروت وطبع كطبعة أولى في مطابع هيدلبرغ في بيروت عام 1975م وطبعة ثانية سنة 1984م، فضلاً عن بحث الدكتور صالح العمارنة من الجامعة الاردنية كلية الاداب الموسوم بـ "من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار"¹، وبحث الاستاذ محمد الفاسي "الجغرافي ابن عبد المنعم الحميري السبتي وتأليفه الروض المعطار"²، وقبل كل ذلك مقدمة المستشرق الفرنسي المهتم بالتاريخ الأندلسي إ. ليفي برونفسال الذي انتخب ما يخص جزيرة الأندلس من أعلام جغرافية من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار وسماه بـ "صفة جزيرة الأندلس" وطبع عام 1937م. فضلاً عن بعض الدراسات الأخرى التي تناول بها المستشرقون كتاب الروض المعطار ومؤلفه³.

ومع هذا الكم من الدراسات لكنها وللأسف لم تحسم التاريخ الحقيقي الذي توفي فيه مؤلفنا المذكور، والتي ظلت هكذا بين الباحثين كلما تطرقوا إلى ذكر الحميري وكتابه في رسائلهم وأطروحاتهم، ذات الاهتمام بالدراسات الأندلسية والمغربية خاصة وغيرها عامة، والتي غالباً ما تكون مدعومة بتواريخ مختلفة منها 710هـ/1310م و727هـ/1327م وبعد 866هـ/1461م و900هـ/1494م و910هـ/1504م كما أن هناك تاريخ ذو بال وجد في كتاب الروض المعطار يمتد إلى أكثر مما أشير إليه من التواريخ السابقة ألا وهي سنة 920هـ/م⁴ وربما كانت هناك أرقام وتواريخ أخرى لم نطلع عليها لكنها في العموم لم تحل هذه الإشكالية، حتى أنه ضمن الدراسة الواحدة يكون الباحثين قد ذكروا أكثر من تاريخ لوفاة المؤلف بقصد أو دون قصد. وهنا سوف لن نحوض بما يتعلق بتسمية الكتاب والاختلافات حوله لأن هذه الإشكالية تطرق إليها الأستاذ الحمارنة وأكد نسبة الكتاب إلى أكثر من مؤلف وفق أدلة وبراهين من الكتاب نفسه⁵، وسنقتصر هنا فقط على الإشكالية المتعلقة بوفاة المؤلف عند المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين.

وبناءً على ما تقدم جاءت هذه الدراسة لتؤكد وبحسب النصوص والإثباتات الصريحة والصحيحة والحسابات الدقيقة من خلال بعض التواريخ التي عاصرها المؤلف، ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، وتفنيد بعض الآراء التي ذُكرت لدعم وفاته في وقت متأخر يتناقض والتاريخ الحقيقي لوفاة المؤلف والنصوص التي اقترنت بها بعض الحوادث التي وقعت بتاريخ معلومة كان المؤلف، أو من أكمل الكتاب بعده، قد نوه إليها بأنها قد وقعت لوقت قريب تشير إلى أنه معاصر لها، وهي مسألة تتطلب الكثير من الدلائل والإيضاحات لإثبات تلك الوفاة التي اختلف فيها المؤرخون من القدامى والمحدثين.

أسمه وكنيته وعلومه ومعارفه:

أسمه محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري يكنى ابو عبد الله بن عبد المنعم السبتي⁶. ووصف بأنه كان: "رجل صدقي، طيب اللهجة سليم الصدر، تام الرجل، صالحاً، عابداً، كثير القرب والأوراد في آخر حاله، صادق اللسان، قرأ كثيراً وسنه تنيف على سبع وعشرين، ففات أهل اللُؤب والسابقة، وكان من صدور الحفاظ، لم يستظهر احد في زمانه من اللغة ما استظهره، فكاد يستظهر كتاب التاج للجوهري وغيره، آية تتلى، ومثلاً يضرب، قائماً على كتاب سيبويه، يسرده بلفظه. اختبره الفاسيون في ذلك غير ما مرة. طبقة في الشطرنج يلعبها محجوباً، مشاركاً في الأصول، آخذاً في العلوم العقلية، مع الملازمة للسنة، يعرب أبداً كلامه ويزينه (ويزنه)"⁷.

وذكره صاحب بلغة الأمنية بقوله ⁸ : " أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي سبتي حافظ للغات العرب متفنن يقول الشعر واتفق له انه توجه إلى حضرة فاس في وفد أهل سبته في أيام السلطان أبي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) ⁹ ، وكان قد تقرر لديه حفظه فذكر ذلك لبعض كتبه فأراد الكاتب ان يغض منه فقال نصركم الله ان الرجل يحفظ لغة حوشية وان شئت أن تعرفها عنده فاخترع اسماً وسله عن معناه فقال له السلطان وما يكون الاسم فقال يا مولاي سله عن التمر كل ففعل فقال مجيباً هو التلغع في الكساء واستشهد له عليه بشواهد للعرب فعرف السلطان مكانته من الحفظ وقام الدليل عنده على ذلك رحمة الله وحديثي عنه الشيخ الحسيب العدل أبو عبد الله الزيات رحمة الله عليه انه كان يقرئ الطلبة في المجلس الواحد دولاً في علوم شتى قال وآخر ذلك دولة في الطب قال فكنت أرى بعض الطلبة ممن طال به المجلس خارجاً من المسجد ويدخل إليه أصحاب العلل والزمنى شيوخاً وكهولاً لحضور دولته الطبية وذكره ابن خيس قال وكان له قيام على الأصول والنحو وسوى ذلك قال وكان يحكم قراءة كتاب سيبويه أتم إحكام ويستظهر شواهد كلها وي طرح ما عده من مصنفات فنه قال وكان يقدم صحاح الجوهري على سواها من كتب اللغة ويستظهر شواهداً أيضاً ويقدم جواهر ابن شاش في الفقه على غيرها من كتبه وأنسيت ما قاله في اختياره من كتب الأصول قال ويذكر عنه انه أكل البلاذر في صغره وتلقيت أنا ممن أثق بحديثه من جلة أصحابنا الطلبة انه اخذ البلاذر ونقعه في الماء مع القمح حتى سرى فعله إليه وأطعم ذلك الحب دجاجة ثم انه ذبحها وطبخ لحمها ووقف في صهريج مملوء ماء عريانا وأكل اللحم وشرب المرق على تلك الحالة قال وان جسده ليشتمل من شدة حرارته قال فكان دأبه بعد ذلك السؤال عن مقتضيات الألفاظ والبحث عن معانيها وتأويلها قال فبقي على ذلك مدة ثم اعتدل مزاجه ونبل عقله واشتد حفظه قال ابن خيس ويذكر عنه انه كان يلعب الشطرنج في حال صغره ظاهراً ويغالب فيه الأقوياء من قبله وكان موضع إقرائه بالمسجد الذي بإزاء زقاق الفضل على الممر الأعظم ، وتوفي رحمة الله عليه بسبته في أحد شهور عام خمسين وسبعمائة ، وقد ذكرناه في الكواكب". وأهم ما يمكن استنتاجه من هذا النص هو العلمية العالية في اللغة والنحو والأصول والعلوم الأخرى التي تفرد بها والذكاء الحاد والمتوقد في المسائل الرياضية ، وهذا ما جعل السبتي أن يصفه عندما وقف على قبره في سبته قائلاً : " قبر الشيخ اللغوي الحافظ الأنبل المتفنن في المعارف أوحده زمانه في ذلك ، وإمام عصره " ¹⁰ .

إشكالية وفاته ومحاولة لإيجاد مخرج :

قال لسان الدين ابن الخطيب انه : " قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر ، لما وصلوا بالبيعة ¹¹ ، وهذا يقودنا إلى القول أن هذا الوفد ذهب إلى غرناطة ليعترف بتبعية سبته لبني نصر مرافقاً شيخه حسبما أشار لسان الدين ابن الخطيب وهما محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي (ت733هـ/1332م) ¹² وقاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري (643-723هـ/1245-1323م) ¹³ . فضلاً عن شخصيات أخرى رافقت الوفد . ولم يقل ذهب إلى فاس في المغرب كما أردف قوله هذا كما سيأتي.

كان انتماء سبته إلى حكم بني نصر أواخر سنة 705هـ/1305م ¹⁴ ، أي في عهد ملك غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث الملقب بالملخوع (701-708هـ/1301-1308م) ¹⁵ ، وعودتها إلى المرينيين سنة 709هـ/1309م ¹⁶ أي في عهد ملك غرناطة أبي الجيوش نصر (708-713هـ/1308-1313م) ¹⁷ ، وعلى هذا تكون الوفاة قد تمت في أوائل تلك المرحلة بين هاتين السنتين ¹⁸ . فإذا كانت وفاة الحميري سنة 727هـ/1326م وهي إشارة لابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة ¹⁹ تكاد تكون الأقرب إلى الدقة بحسب تقدير محقق الروض المعطار ²⁰ ، فلا بد من القول أنه هل يعقل أن تمت الوفاة إلى كل تلك السنين وبقاء الوفد هناك ، لاسيما إذا ما عرفنا من خلال ما أدلى به لسان الدين ابن الخطيب عن وفاته بقوله ²¹ : " كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب ، بأحواز تيزي " ²² ، حسبما وقع التنبيه على بعضهم " ، فإن عبارة " كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان " ²³ تدعونا إلى القول عن

أي وباء يتحدث فهل حدث وباء لم تشر إليه المصادر كان سبباً في إزهاق العديد من الأرواح وهو ما يعبر عنه بالموتان ، كما أن عبارة : " عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب " فيها نظر وتحقيق يجعلنا أن نعطي تفسيراً مغايراً لما اعتاد طرحه سابقاً ، فالوفد هنا رحلته إلى ملك المغرب في فاس ، السلطان أبي الحسن (731-749هـ/1331-1348م)²⁴ وهي على ما يبدو غير رحلة الوفد السابق إلى ملك غرناطة محمد الثالث الملقب المخلوع (701-708هـ/1301-1308م) لتأكيد تبعية سبته للملك بني الأحمر في شوال سنة 705هـ/1305م ومن ثم عودتها لحكام بني مرين في صفر سنة 709هـ/1309م كما تقدم ، والأدلة على ذلك كثيرة أسعفتنا بها المصادر المعتمدة .

فلو تتبعنا كيف تلقى الحميري العلوم المختلفة وعلى يد من من المشايخ ، لعرفنا على الأقل العصر الذي تواجد فيه ، وقد أسعفتنا بعض الأسماء من هؤلاء الشيوخ الذين أخذ منهم وعاصروهم ، اثنان منهم ذكرهما لسان الدين ابن الخطيب كما مر رافقهما الحميري مع الوفد الذي ذهب إلى غرناطة ليؤكد التبعية للملك بني نصر وهما قاسم بن عبد الله الشاط الأنصاري المتوفي سنة 723هـ/1323م ومحمد بن علي اللخمي السبتي المتوفي سنة 733هـ/1332م ، فضلاً عن أبي إسحاق الأشبيلي (ت 716هـ/1316م) وهو إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي الأشبيلي المالكي ، توفي وله خمس وسبعون سنة²⁵ ، وفي هذا دليل على أن الحميري كان شاباً في بداية العقد الثالث من عمره على أكثر تقدير بحكم وفاة شيوخه في السنوات المشار إليها أعلاه ، ولو كان فعلاً أن الطاعون قد استأصلهم بعد عودتهم لكان حال الجميع في تاريخ واحد مثلهم مثل الحميري ، فوفياتهم كما مر مختلفة التواريخ ، هذا من جهة .

من جهة أخرى فأن أبرز الذين عاشوا في القرن الثامن الهجري²⁶ لم يتطرقوا إلى حدوث وباء في عام 727هـ/1326م ولم تحدثنا المصادر عنه سوى تأكيداً على مجاعات وقحط شديد يرافقها ارتفاع كبير بالأسعار بالمغرب ويؤثر بالجملة على المجتمعات البشرية حتى الموت أو الهجرة امتدت من 723هـ/1323م و 724هـ/1323م و قحط سنة 725هـ/1324م الذي تجدد سنة 726هـ/1325م²⁷ ولو حدث هذا الوباء الجارف كما يوصف لأشارت إليه المصادر كما أشارت للذي قبله وبعده بمرارة بالغة ، وقد أحصت إحدى الدراسات²⁸ الأوبئة التي حصلت في القرون السادس والسابع والثامن للهجرة بالاعتماد على المصادر المعاصرة فلم تذكر حدوث أي وباء للطاعون الجارف في تلك السنة رغم إشارتها إلى هذا الوباء في سنوات عديدة قبل وبعد سنة 727هـ/1326م ، مثلاً السنوات 526هـ / 1131م و 535هـ / 1140م و 571-572هـ / 1175-1176م و 610هـ / 1213م و 631هـ / 1233م و 634هـ / 1236م و 635هـ / 1237م و 693هـ / 1293م و 763هـ/1362م ونلاحظ أن المصادر لم توثق وباء 727هـ/1326م ولم تذكره بالأصل رغم أن حدوث مثل هكذا وباء يكون له صدهاء في العالم الإسلامي برمته وهذا يعني عدم وجود دليل يؤكد انتشاره في تلك السنة ، فضلاً عن أن إشارة ابن حجر العسقلاني لوفاة الحميري في تلك السنة لا يوجد من يؤيدها وليس هناك ما يثبت دعواه فهو لم يصرح تماماً عن مصدر المعلومة ، ولم يبين سبب الوفاة كما هو معروف ، والتي لو حدثت بسبب الطاعون الجارف لذكرها كونه يعم أغلب الدول عادة وما يسببه من دعر وأهوال تجعل الكثير ممن تشمله رعاية الله في النجاة منه يتحدثون عنه عادة بإسهاب ولوعة .

بقي لدينا أن نخرج إلى ما ذكره ابن خلدون في كتابه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً الذي ذكر الطاعون الجارف لسنة 749هـ/1348م²⁹ ، بمرارة بالغة كونه عم العالم الإسلامي وغيره ، أو ما يسمى بالموتان وهو أمر أكدته ابن الوردي (ت 749هـ/1348م) في تاريخه ولو كان قد حدث امر مماثل لهذه النكبة في وقت سابق لذكرها وأرخ لها³⁰ وأعني هنا سنة 727هـ/1326م . وقد أشار لسان الدين ابن الخطيب إلى حدوث قحط شديد في الأندلس عام 748هـ/1374م³¹ مهد لتفشي الطاعون الأسود في السنة التالية انتقل على أثره إلى المغرب مباشرة³² الأمر الذي فسره ابن خلدون بأن : " المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول "³³ . والجدير بالذكر أن ابن خلدون كان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره عندما حلت النكبة الكبرى بالمغرب إذ اكتسحه الطاعون الجارف ، فحصد مئات الألوف

من سكانه ، كما حصد الملايين من سكان العالم في آسيا وأوروبا . الأمر الذي أحدث اختلالاً حاسماً في التوازن بين البداوة والحضارة في المغرب ، فهو قد ألمات الكثير من أهل المدن بينما هو لم يمس بسوء أهل المناطق الجبلية والصحراوية . وقد أدى هذا إلى تفوق البدو على الحضرة في العدد والقوة ، مما مكن القبائل البدوية من الاستيلاء على المدن ذات الأسوار المنيعية التي كانت تخلو ممن يدافع عنها ³⁴ .

يؤكد ابن خلدون على أن وفدا مغربياً قد زار فاس عندما ملك السلطان أبي الحسن المريني إفريقية (تونس) سنة 748هـ/1374م بقوله : " وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن ، عند ملك إفريقية سنة ثمان وأربعين ، جماعة من أهل العلم ، كان يلزمهم شهود مجلسه ، ويتجمل بمكانهم فيه " ³⁵ ، وقد أشار لهذا الوفد مقروناً بأسماء كثيرة ذهب إلى المغرب للسلطان المريني أبي الحسن في فاس لتقاسم البيعة والولاء الدائمين واستعان ببعضهم وعادوا بعد ذلك ليلقوا مصيرهم في طريق العودة في العامين 749هـ/1348م و 750هـ/1349م ³⁶ وكان من جملتهم الحميري الذي لاقى حتفه في أحد شهور سنة 750هـ/1349م ³⁷ في أحواز تازة .

سننقل بعض ممن ترجم لهم ابن خلدون ممن كانوا ضمن الوفد الذي أشار إليه لسان الدين ابن الخطيب كما مر ذكره في أواخر سنة 705هـ/1305م ، والتي تؤكد أن الحميري كان من ضمنهم ³⁸ على الرغم من أنه لم يذكر اسمه صراحة ، ربما لصغره وعدم شهرته في ذلك الوقت ولكونه طالباً للعلم آنذاك ، ولم يمت في أثناء رجوع الوفد في هذه الرحلة كما يفهم من سياق الكلام الذي أوضحه لسان الدين ابن الخطيب الذي قال عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب وليس منصرفهم من سلطان الأندلس كما يفهم من سياق الكلام الذي قبله بأن الحميري من ضمنهم ³⁹ وهنا يذكر ابن خلدون بقوله : " ومنهم شيخ الفتيا بالمغرب ، وإمام مذهب مالك ، أبو عبد الله محمد بن سليمان السطّي ؛ فكنت انتاب مجلسه ، وأفدت عليه " ⁴⁰ ويضيف بقوله : " ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن ، وصاحب علامته التي توضع أسافل مکتوباته ، إمام المحدثين والنحاة بالمغرب أبو محمد بن عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي ؛ لازمته وأخذت عنه ، سماعاً ، وإجازة " ⁴¹ . ثم يوضح ذلك بقوله : " وأما عبد المهيمن كاتب السلطان أبي الحسن ، فأصله من سبتة ، وبيتهم بها قديم ، ويعرفون ببني عبد المهيمن ؛ وكان أبوه محمد قاضياً أيام بني العزني ، ونشأ ابنه عبد المهيمن في كفالاته ، وأخذ عن مشيختها ، واختص بالأستاذ أبي إسحاق الغافقي . ولما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد ، صاحب الأندلس ، سبتة ونقل بني العزني ، مع جملة من أعيانها إلى غرناطة ، ونقل معهم القاضي محمد بن عبد المهيمن ، وابنه عبد المهيمن ، فأستكمل قراءة العلم هنالك ، وأخذ عن أبي جعفر بن الزبير ونظرائه ، وتقدم في معرفة كتاب سيبويه ، وبرز في علو الإسناد ، وكثرة المشيخة ، وكتب له أهل الأندلس والمشرق ، وأستكتبه رئيس الأندلس يومئذ ، الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ، المستبد على السلطان المخلوع من بني الأحمر ، فكتب عنه ، ونظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه ، مثل المحدث الرحالة أبي عبد الله بن رشيد الفهري ، وأبي العباس بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللحمي العزني ، والعالم الصوفي المتجرد ، أبي عبد الله محمد بن خميس التلمساني ، وكان لا يجاريان في البلاغة والشعر - إلى غير هؤلاء ممن كان مختصاً به ؛ وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة . فلما نكب الوزير ابن الحكيم ، وعادت سبتة إلى طاعة بني مرين ، عاد عبد المهيمن إليها واستقر بها ؛ ثم ولى السلطان أبو سعيد ، وغلب عليه ابنه أبو علي ، واستبد بحمل الدولة ، تشوف إلى استدعاء الفضلاء ، سنة اثنتي عشرة ، ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة ، وامتنع بالبلد الجديد ، وخرج منها إلى سجلماسة بصلح عقده مع أبيه ، فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن ، واتخذ كاتباً ، إلى أن دفعه لرياسة الكتاب ، ورسم علامته في الرسائل والأوامر ، فتقدم لذلك سنة ثمان عشرة ، ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ، وسار مع أبي الحسن إلى إفريقية ، وتخلّف عن واقعة القيروان بتونس ؛ لما كان به من علة النقرس . فلما كانت الهيعة بتونس ، ووصل خبر الواقعة ، وتحيز أشياع السلطان إلى القصبية ، مع حرمه ، تسرب عبد المهيمن في المدينة ، منتبهاً عنهم وتوارى في بيتنا ، خشية أن يصاب معهم بمكره . فلما انجلت تلك الغيابة ، وخرج السلطان من القيروان إلى سوسة ، وركب منها البحر إلى تونس ، أعرض عن عبد المهيمن ، لما سخط غيبته عن قومه بالقصبية ، وجعل العلامة لأبي الفضل ابن الرئيس عبد الله ابن أبي مدين ، وقد كانت مقصورة من قبل على

هذا البيت ، وأقام عبد المهيمن عُطَلاً عن العمل مدة أشهر ، ثم أعتبه السلطان ، ورضى عنه ، وأعاد إليه العلامة كما كان ، وهلك لأيام قلائل بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين (749هـ/1348م) . ومولده سنة خمس وسبعين من المائة (675هـ/1276م) قبلها ، وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة فليطالع هناك من أحب الوقوف عليه "42 .

ومن خلال ما تقدم يبدو جلياً أن بنو عبد المهيمن كانوا من ضمن الوفد الذي ذهب إلى غرناطة أواخر سنة 705هـ/1305م ثم عادوا ولم يذكر أن هناك طاعوناً فتك بالوفد ، إذ عادوا بعد ذلك إلى سبته بعد عودتها لحكام بني مرين في صفر سنة 709هـ/1309م .

ويبدو أن خروج بعض المدن عن سلطة حكام بني مرين وعودتها مسألة كثيراً ما تتكرر ليس مدينة سبتة فحسب بل أن هناك مدناً أخرى قد مرت بنفس الأحداث ، منها ما ذكره ابن خلدون أن مدينة تلمسان ملكها السلطان أبو الحسن عتوة سنة 737هـ/1336م من بني زيان ⁴³ واستولى على إفريقية سنة 748هـ/1347م ⁴⁴ لمدة سنتين إلى أن استردها أهلها وفي ذلك قال ابن خلدون : "حتى انتقض المغرب على السلطان ، وأستقل به ابنه أبو عنان ، ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين (750هـ/1349م) ، وممر ببجاية ، فأدركه الغرق في سواحلها فغرقت أساطيله ، وغرق أهله ، وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم ، وألقاه البحر ببعض الجزر هناك ، حتى استنقذه منها بعض أساطيله ، ونجا إلى الجزائر ، بعد أن تلف موجوده ، وهلك الكثير من عياله وأصحابه " ⁴⁵ ، كما أن مدينة جبل الفتح (جبل طارق) عادت إلى ولاية بني مرين سنة 772هـ/1370م ⁴⁶ .

الخلاصة :

يبدو جلياً أن مؤلفنا الحميري وبعد الدراسات الكثيرة التي قدمت حول معجمه الجغرافي لم تستطع التوصل إلى إثبات وفاته بشكل قاطع رغم توفر الأدلة والنصوص التي استشهدنا بها والتي تدعم وفاته بشكل أكيد فأهل مكة أدرى بشعابها كما قيل ، فصاحبنا سجلت له رحلتين إحداها للأندلس التي ذهب بها مباركاً ومبايعاً لملوك بني نصر ، والثانية للمغرب وإلى فاس بالتحديد مهنياً ومباركاً للسلطان أبي الحسن لسيطرته على إفريقية وهي التي ختم بها حياته في أحواز تازة شرق مدينة فاس ، بعد عودة الوفد إلى الديار ، بسبب الوباء العام سنة 749هـ/1348م الذي أمتد إلى سنة 750هـ/1349م وما بعدها فاتكاً بالكثير من المجتمعات البشرية شرقاً وغرباً ، ليلقى حتفه في سنة 750هـ/1349م .

الهوامش والإحالات :

- 1- الحمارنة ، صالح ، " من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار وهي تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس " ، المنشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، (بغداد ، 1978م) ، ص ص 175-184 .
- 2- في محاضر جلسات المؤتمر العلمي لمجمع اللغة العربية في القاهرة مج 39 ج 9 محاضر الجلسات 359 .
- 3- ريتزنانو ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مج 18 ، ج 1 ، (القاهرة ، 1956م) ، ص 135 .
- 4- أشار الحميري هنا إلى حكم سلطان المماليك الجراكسة قانصوه الغوري (906-923هـ / 1500-1516م) وجعله بالهجري سنة 720هـ/1320م وهذا تصحيح وخلط ما بين التسعمائة والسبعماية وهو يتحدث عن إصلاح طريق الحجاج في مدينة أيلة في طريق مكة من مصر وهي أول حد الحجاز بقوله : " ثم أصلحها السلطان الأشرف قانصوه الغوري آخر ملوك الجراكسة من جملة ما أصلح في طريق الحجاج في أواخر عمره قبل العشرين والسبعماية " . ثم أن هناك نقش على بوابة قلعة العقبة والتي تقع عند مدخل المدينة فيه اسم قانصوه الغوري وبجانبه تاريخ يرجع إلى سنة 911هـ/1505م . وقد اهتم بالعقبة لوقوعها على طريق الحج والتجارة . علماً أن آخر سلاطين الجراكسة المماليك هو الأشرف تومباي الثاني الذي حكم في سنة (923هـ/1516-1517م) ينظر : الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت 750هـ/1349م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : أحسان عباس ، ط 2 (بيروت ، مطابع هيدلبرغ ، 1984م) ، ص 71 ؛ ابن إياس ، محمد بن أحمد الحنفي (ت 930هـ/1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور من سنة 906-921هـ/1501-1515 ، تحقيق محمد مصطفى ، ط 3 مصورة من ط 2 (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984م) ، ج 4 ، ص ص 133 ، 152 ، ج 5 ، ص 95 ؛ هاردينج ، لانكسر ، آثار الاردن ، ترجمة سليمان موسى ، (عمان ، 1971م) ، ص 172 .
- 5- من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 181 وما بعدها .

- 6- لسان الدين ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/1374م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طویل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003م) ، مج3 ، ص101 ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت852هـ/1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) مج 4 ، ص32.
- 7- لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج 3 ، ص101.
- 8- مؤلف مجهول (من علماء القرن التاسع الهجري توفي بعد سنة 820هـ/1714م) ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مجلة تطوان ، ع 9 (تطوان ، 1964م) ، ص ص 175-176.
- 9- السلطان ابو الحسن المنصور علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (731-749هـ/1331-1348م) ، وصف بأنه أفخم ملوك بني مرين دولة وأضحهم ملكاً وبعدهم صيتاً وأعظمهم أمة ، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لأن أمه حبشية فكان اسم اللون ، عزل على يد ابنه أبي عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م) وتوفي طريداً في جبل هنتانة سنة 752هـ/1351م . للمزيد ينظر : لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، د.ت.) ، ص25؛ ابن الأحمر ، أبو الوليد إسماعيل (ت810هـ/1407م) ، روضة النسرین في دولة بني مرین (الرباط ، مطبوعات القصر الملكي ، 1962م) ، ص 25؛ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين عبد الحي (ت1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الارناؤط (بيروت ، دار ابن كثير ، 1986م) ، ج8 ، ص293؛ السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ابني المؤلف جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م) ج3 ، ص118.
- 10- محمد بن القاسم الأنصاري (فرغ من تأليفه سنة 825هـ/1421م) ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، (الرباط ، بلا ، 1983م) ، ص20.
- 11- ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 3 ، ص102 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص3.
- 12- الإحاطة ، مج 3 ، ص116.
- 13- الإحاطة ، مج 4 ، ص218.
- 14- النباهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي (ت793هـ/1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا- بيروت ، المكتبة العصرية ، 2006م) ، ص ص 145 ، 163.
- 15- هو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي ، يكنى ابا عبد الله ؛ ثالث ملوك بني الاحمر (655-713هـ/) ، وهو الذي بنى مسجد الحمراء الاعظم بغرناطة . ينظر لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص ص 316-326 ؛ واللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط2 (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1978م) ، ص ص 47-56؛ ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1971م) ، ج7 ، ص306؛ والتعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2006م) مصورة عن الطبعة الاولى القاهرة 1951م ، ص39.
- 16- ابن ابي زرع ، علي بن عبد الله ابي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس (الرباط ، دار المنصور للوراقة والطباعة ، 1972م) ، ص393 ؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ط4 ، 4 عصور في 6 اقسام (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987م) ، ع4 ، ص 115 ؛ فرحات ، يوسف شكري غرناطة في ظل بني الاحمر ، (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) ، ص32.
- 17- هو شقيق الملك المخلوع اذ أحيط به في يوم عيد الفطر من عام 708هـ واتت الحيلة عليه ، وهو مصاب بعينه ، مقعد في كنه ، فداخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه ، وفكت بوزيره أبي عبد الله بن الحكيم ، ونصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصراً أخاه . للمزيد ينظر لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص ص 322-324 ؛ ج3 ، ص ص 254-261.
- 18- مقدمة الروض المعطار ، ص : ي .
- 19- ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، مج4 ، ص33. 20-
- 21- الإحاطة ، مج 3 ، ص102.
- 22- تيزي أو تازة : مدينة في المغرب الأقصى ، تبعد عن فاس نحو الشرق 127 كم ؛ وهي إحدى المدن الحربية القديمة بالمغرب ؛ أسست قبل الفتح الإسلامي بكثير . وملكاتها الحربية إتخذها الحسن بن إدريس الثاني مقراً حربياً ، والتسمية تطلق على المدينة وجبالها اذ تعد جبال ومدينة تازا فضلاً عن مدينة ملوية الحد الفاصل بين

- المغربين الأوسط والأقصى ، ويقع رباط تازا في أحد جبالها ، وبني سنة 586هـ/1172م . أما المدينة فقد بناها عبد المؤمن الموحي سنة 529هـ/1234م وقام بتحسين سورها . وفي أيام المرينيين إتخذها أبو يعقوب المريني عاصمته ، وقاعدة لغزو تلمسان ، ولا تزال حتى اليوم مركزاً حربياً يحسب له حسابه . وقد نسب إلى تازا علماء كثر . وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق وتسمى مكناسة تازا ، ومكناسة قبيلة من البربر سكنوا هناك فسمي الموضع بهم . ينظر : ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص 262 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 128 ؛ ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص 134 .
- 23- الاحاطة ، ج 3 ، ص 102 .
- 24- بلغة الامنية ، ص 175 .
- 25- التعريف بابن خلدون ، ص 38 ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط 2 ، (بيروت ، دار المسيرة ، 1399هـ/1979م) ، ج 6 ، ص 38 .
- 26- مثلاً ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ؛ النباهي ، المرقبة العليا ؛ المراكشي ، المعجب وغيرهم .
- 27- ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص 529، 544 ؛ 530-544 ؛ السلاوي ، الاستقصا ، ج 3 ، ص 179 ، ج 4 ، ص 165 .
- 28- البياض ، عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق 6-8هـ/12-14م) ، (بيروت ، دار الطليعة ، 2008م) ، ص 20 وما بعدها .
- 29- ص ص 15 ، 19 ، 27 ، 31 ، 41 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 . وعن هذا الطاعون وأثره على المغرب الاوسط ينظر : سمية ، مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927هـ/1192-1520م ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري - قسنطينة ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ والاثار (قسنطينة ، 1429-1430هـ/2008-2009م) ، ص 139 وما بعدها .
- 30- زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية ، 1996م) ، ج 2 ، ص 338-342 .
- 31- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس " مجموعة من رسائله " نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م) ، ص 38 .
- 32- النباهي ، المرقبة العليا ، ص ص 159 ، 165 ، 174 . 33-
- 33- المقدمة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992م) ، ص 320 .
- 34- الوردي ، علي ، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، ط 2 (بيروت ، دار مكتبة دجلة والفرات ، 2010م) ، ص 129 .
- 35- التعريف بابن خلدون ، ص 19 .
- 36- التعريف بابن خلدون ، ص ص 15 ، 19-48 .
- 37- بلغة الامنية ، ص 176 ؛ وينظر ابن تاويع ، محمد ، تاريخ سبته (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1982م) ، ص 158 وما بعدها .
- 38- الاحاطة ، ج 3 ، ص 102 .
- 39- الاحاطة ، ج 3 ، ص 102 .
- 40- التعريف بابن خلدون ، ص ص 19-20 .
- 41- التعريف بابن خلدون ، ص 20 .
- 42- التعريف بابن خلدون ، ص ص 38-41 .
- 43- التعريف بابن خلدون ، ص 30 .
- 44- التعريف بابن خلدون ، ص ص 19 ، 31 .
- 45- التعريف بابن خلدون ، ص 32 .
- 46- التعريف بابن خلدون ، ص 147 .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر الاولية :

- 1- ابن الاحمر، ابو الوليد اسماعيل (ت810هـ/1407م) ، روضة النسر في دولة بني مرين (الرباط ، مطبوعات القصر الملكي ، 1962م).

- 2- ابن اياس ، محمد بن احمد الحنفي (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور من سنة 906-921هـ/1501-1515، تحقيق محمد مصطفى ، ط 3 مصورة من ط2 (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م).
 - 3- ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ/1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، دار الجليل ، 1993م) .
 - 4- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت750هـ/1349م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 (بيروت ، مطابع هيدلبرغ ، 1984م) .
 - 5- ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، 1971م).
 - 6- المقدمة (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992م) .
 - 7- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2006م) مصورة عن الطبعة الاولى القاهرة 1951م .
 - 8- ابن ابي زرع ، علي بن عبد الله ابي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس (الرباط ، دار المنصور للوراقة والطباعة ، 1972م) .
 - 9- السبتي محمد بن القاسم الأنصاري (فرغ من تأليفه سنة 825هـ/1421م)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2، (الرباط ، بلا ، 1983م) .
 - 10- ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط2 ، دار المسيرة ، (بيروت ، 1399هـ/1979م) وطبعة اخرى ، تحقيق محمود الارناؤط (بيروت ، دار ابن كثير، 1986م).
 - 11- لسان الدين ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/1374م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003م).
 - 12- لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، د.ت.) .
 - 13- اللوحة البدريّة في الدولة النصرية ، ط2 (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1978م).
 - 14- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس " مجموعة من رسائله " نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م) .
 - 15- مؤلف مجهول (من علماء القرن التاسع الهجري توفي بعد سنة 820هـ/1714م) ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مجلة تطوان ، ع 9 (تطوان ، 1964م) .
 - 16- النباهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله الحزامي المالقي النباهي (ت793هـ/1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا- بيروت ، المكتبة العصرية ، 2006م) .
 - 17- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية ، 1996م) .
- ثانياً: المراجع الثانوية:
- 18- البياض ، عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق 6-8هـ/12-14م) ، (بيروت ، دار الطليعة ، 2008م) .
 - 19- ابن تاويت ، محمد ، تاريخ سبتة (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1982م) .
 - 20- الحمارنة ، صالح ، " من هو مؤلف الروض المعطار وهي تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس " ، المنشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، (بغداد ، 1978م) ، ص ص175-184.
 - 21- ريتزيتانو ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مج 18، ج 1 ، (القاهرة ، 1956م)، ص 135.
 - 22- السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م) ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ابني المؤلف جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م) .
 - 23- سمية ، مزدور ، المجامع والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927هـ/ 1192-1520م ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري - قسنطينة ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ والآثار (قسنطينة ، 1429-1430هـ/ 2008-2009م) .

- 24- عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ط4 ، 4 عصور في 6 أقسام (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987م) .
- 25- فرحات ، يوسف شكري غرناطة في ظل بني الأحمر ، (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) ، ص32.
- 26- هاردنج ، لانكسر ، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، (عمان ، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، 1971م).